النتاج الجديد

١ — ولادة استقلال

للاستاذ منير تقي الدين

دار العلم للملايين . بيروت

٢٥٦ صفحة

هذا كتاب سجل فيه مؤلفه تاريخ معركة ومخاض ولادة . فكانت المعركة معركة تشرين من سنة ١٩٤٣ وكانت الولادة ولادة استقلال لبنان من طغيان فرنسا ونقطة تحول في سير القضية العربية .

قرأت هذا الكتاب في ثلاث جلسات طويلة حاولت خلالها وبعد الانتهاء من القراءة ان اكوّن لقراء «الآداب» رأياً اخرج فيه بخلاصة ايجابية توضيحية في الموضوع والاسلوب .

ولعل من الخير وقد وقفت موقف الناقد من هذا المؤلف التاريخي ان اسجل في كلمات قليلة وجهة نظري في قيمة التأليف التاريخي وماهيته تمهيداً للموضوع . في التاريخ تحقيق وتمحيص ومقارنة وموازنة والحاح في استعمال المقاييس، ثم تسجيل لخواطر يكون بمثابة الدراسة التوضيحية لمشكلاته وعوامله . اما الاكتفاء بالتحقيق والتمحيص وما يتبعها دون التوجيه التوضيحي فهو محو لشخصية المؤرخ واصطناع لموقف لا يساعد القارىء على اتخاذ رأي ايجابي في الحادث التاريخي وابطاله الذين صنعوه او واكبوه . ومعنى هذا كله ان للمؤرخ شخصية يجب الا تمحي امام الحادث ، فاذا حدث هذا فقد يسيء ذلك الى القارىء أو يجعله على الأقل في حيرة من امره لعجزه عن ادراك العالم النفسي الذي كانت تتفاعل به الأحداث وتؤثر فيه .

وبناء على ذلك أدرس هذا الكتاب من خلال موضوعيته وأسلوبه . اما الموضوع فقد لا أبالغ إذا قلت بان فيه استقصاءً تناول به المؤلف الكريم كل حادث دقّ او عظم بالعرض والتفصيل ولا سيما في حدود الثلاثة عشر يوماً التي شهدت ولادة الازمة وتطورها بين الفرقاء الثلاثة ، الفرنسيين واللبنانيين والحلفاء ولا سيما البريطانيون منهم، ثم شهدت ولادة الاستقلال وتكريسه رسمياً بتراجع الفرنسيين عن تدابيرهم المعادية . وقد كنت اتمنى على حضرة المؤلف ان يوسع تمهيده الذي قدم به أزمة تشرين . فقد كان حديثه عن تاريخ لبنان الحديث قبل سنة ١٩٤٣ م شديد الاقتضاب بحيث ان القارىء يعجز عن وضع حادث الاستقلال موضعه مما قبله ، كما يعجز عن ادراك الروابط النفسية بين ما سبق من الحوادث وما لحق . وليسمح لي كذلك ان اسجل اقتضاباً شديداً فيما يتعلق بحوادث طرابلس وصيدا . فان الذي اعرفه ان هاتين المدينتين قد لعبتا دوراً هاماً في النضال من اجل قضية الاستقلال وقدمتا تضحيات لا تقل نسبياً عما قدمته بيروت وبشامون ولا سيما طرابلس . والظاهر ان حضرة المؤلف قد أرّخ على طريقة من يرى ان تاريخ الأمة هو تاريخ رجالها الذين وضعهم الزمن في مراكز القيادة . ولما كانت هذه المراكز في بيروت وبشامون ، فقد حصر جهوده او اكثرها في هذين المركزين الرئيسيين . اقول ذلك لأنني أعرف لطرابلس بصورة خاصة مواقفها العنيفة واستجابتها الشديدة لكل مطلب وطني . فالتاريخ في نظري هو تاريخ الشعب قبل ان يكون تاريخ الأبطال والقادة . لأن المقصود منه هو تسجيل العظات والدروس التي يجب ان تعيش بين جوانح الناس العاديين باكثر مما تكون تخليداً لذكرى بطل او تمجيداً لجرأة زعيم . على ان هذا لا يمنعنا من التمجيد للزعيم والبطل . وتعقيباً على ذلك احب ان اقرر ان التاريخ صنيعة الناس ، الناس البسطاء الذين اكثر حضرة المؤلف من الاشادة باخلاقهم الحميدة في حواشي كتابه . فقد ذكر في حاشية ص ١١٢ « ان من طبيعة القروي اللبناني التفاني والاخلاص في سبيل المثل العليا . وهو شديد الحساسية ساذج يؤمن بزعمائه ولا يشك باخلاصهم » . كما اشار الى الرجل الشيخ الذي حمل مؤونة الشتاء الى بشامون ورجع دون ان يعلن عن اسمه وقد خلا وطابه ولعله قضى ليله آنذاك جائعاً . وهذه المرأة التي ارسلت من الدامور كل ما كانت تملكه منتظرة أوبة زوجها لترسل ثانية ما يتهيأ لها من المؤونة .

ان الزعماء من الشعب كالعنوان من الموضوع ؛ فلماذا لا نحرص على دراسة الموضوع اكثر من حرصنا على دراسة العنوان والاهتمام به ؟

ولا بدّ لي من ان اثني على مجهود المؤلف في التصنيف والتبويب والاحاطة؛ فقد اوفى على الغاية من هذه الناحية في حدود ما قدّرت واجتهدت .

هذا فيما يتعلق بالموضوع . اما الاسلوب وأقصد به طريقة المؤلف في استخراج الدروس واستنتاج العظات ، فقد وجدت فيه مأخذاً اخذته عليه في الكتاب عامة .

لقد ذكرت آنفاً ان مهمة المؤرخ لا تقتصر على عرض الأحداث وتمحيصها بل تتجاوز الى ما وراء ذلك . انها مهمة القاضي او الحكم يصدر حكمه دون تردد او مجاملة . والظاهر ان المؤلف قد آثر السلامة فأعرض عن اصدار الحكم في كثير من المناسبات، اللهم غير تعليقات قصيرة الحقها بمؤلفه في بعض الحواشي . وقد عرض الحوادث بطريقة تعفيه من اصدار الاحكام فبقي قارئه في غفلة عن حقيقة ما يعتلج في نفوس كثير من الزعماء والنواب والمسؤولين . والمثل على ذلك مبلغ المائة والعشرين الف ليرة التي جمعها المؤتمر الوطني . فقد اشعرنا المؤلف ان الطرق التي استعملت في صرف الأموال لم تخلُ من بعزقة وتبذير، وقد علل وقوفه عند هذا الحد بضنه بكرامة البلاد . وظني ان كرامة البلاد تفرض عليه ان يضع النقاط على الحروف فيتهم من هو موضع للتهمة، ويعرض بكرامة من يجب ان تعرض كرامته للهتك والفضيحة صوناً لمصلحة الجماهير وتوكيداً للعظة والعبرة .

ثم وصف في اقتضاب شديد مخجل انهيار اعصاب بعض أعضاء حكومة بشامون اثر هجوم الجيش الفرنسي وذكر ميلهم الى الهرب مستعينين بالبريطانيين ، مما يخيل للقارىء انهم كانوا سيهربون حقاً لولا رفض البريطانيين والحاحهم عليهم بالبقاء في اماكنهم . فهل يعني ذلك ان الثورة وجلد الوزراء والنواب مسرحية ألّفها وأخرجها واشرف على انتاجها البريطانيون ؟ وما هي حصة هؤلاء الزعماء من توتر الايمان وصلابة العزيمة ؟ لقد كنت احب ان يوضح حضرة المؤلف هذا الجانب ليتبين لكل ذي عينين نصيب الجمهور من النضال المخلص ونصيب بعض القادة من النضال المخرج على طريقة هوليود وستوديوهات مصر .

هذه جوانب لا تنجلي الا إذا وضعنا السيف في موضع السيف والندى، في موضع الندى فيرجع لكل ذي حق حقه . ولعلي الح على هذا الجانب لأنني اشعر شعوراً قوياً بوقوع الظلم على الجمهور البعيد عن مفاوضات وسياسات ما وراء الكواليس ثم وقوعه على بعض الرجال اللامعين من مثل رياض الصلح — فالحقيقة ان دور هذا الرجل لم يتضح تماماً خلال هذه الأزمة اتضاحاً يحول دون كل لبس . لقد كان المؤلف قادراً على هذا كله لو انه اوضح هذا الجانب الغامض من حوادث الأزمة . كما كان من الممكن ان يظهر دور الجمهور ورجل كرياض الصلح بصورة أقوى ، عملاً بقول الشاعر « والضد يظهر حسنه الضد » في حدود الحوادث التي اوردها في كتابه .

واخيراً يهمني ان ألفت نظر المؤلف الكريم الى تعبير كرره في مناسبات كثيرة اعتقد انه لم يعنه ابداً حين استعمله وهو قوله في ص ١٩ « لكن المؤتمر السوري الممثل للأمة السورية الخ » . فهل هناك « امة سورية » ؟ ثم تكريره لهذا التعبير نفسه مطلقاً على الشعب اللبناني اسم « الامة اللبنانية » . ويقيني ان المؤلف لم يلاحظ هذه الناحية الخطيرة لا سيما وانا اعلم عنه ايمانه بامة واحدة هي الأمة العربية ، وقضية كبرى واحدة هي القضية العربية التي تشمل قضايا لبنان وسوريا والعراق ومصر وغيرها .

والخلاصة ان الاستاذ المؤلف رغم كل ما اوردته من مآخذ قد قدم الى المكتبة العربية سفراً نفيساً أرجو ان يفيد القارىء منه علماً وعظة وعبرة . ويكفيه فخراً انني استطعت ان احصي اخطاءه وهي فضيلة قلما يتصف بها من يتصدى لتاريخ شعب او يعالج واقع امة .

٢ — وعي المستقبل

للاستاذ قدري حافظ طوقان

دار العلم للملايين ، بيروت ، ٨٨ صفحة

مجموعة من مقالات ، بل قل مجموعة من كلمات قصيرة ، ما فيها اقرب الى ان يكون خواطر سريعة تمس الموضوع مساً رفيقاً متهيباً منه الى ان يكون افكاراً مجردة معمقة وشاملة ولعلي لا استثني من هذا الوصف غير فصل (نحن والانكليز) .

وقد كنت احب لحضرة المؤلف ان يقتصر على ما جوّد من الفصول ويحذف الفضول والزوائد . ولكن الواقع ان حظ

مكتبة انطوان

فرع شارع الامير بشير — بيروت

اكبر مجموعة من الكتب العربية والفرنسية من ادبية وسياسية واجتماعية .

تليفون ٧٧ — ١٦

الكتاب من هذه الزوائد الفكرية فوق حظـــه من التفكير الشامل المنظم .

ففي كتابه فصول لا يتجاوز عدد صفحات الواحد منهـا اربعاً من القطع الصغير او اقل او اكثر قليلًا (الشعور بالنقص، الشعور بالعدالة، مركّب الوهم، الانانية الطاغية الخ) .

أضف إلى ذلك انني وقعت خلال قراءتي للكتاب على غموض وتناقض

اما الغموض فهو في دور العلم والروح العلمية اللذين أغرق الكاتب إغراقاً شديداً في مدحهما وجعلهما وسيلتين وحيدتين لمعالجة المشكلات الاجتماعية والاخلاقية والنفسية والمادية .

والظاهر انني اختلف مع المؤلف في تحديد ماهية العلم وقيمته من الناحيتين الخلقية والانسانية .

فالعلم في نظري مجموعة قوانين نكتشف بها العلاقات الجبرية الدائمة بين الحوادث الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية وغيرها اما غايته المباشرة فهي استخدام قوى الطبيعة واكتشاف اسرار جهازها المعقد المتشابك الخطوط والجوانب . واما الخدمة التي قدمها العلم حتى اليوم فهي تحسين شروط الحياة المادية وإحداث اساليب ووسائل فنية استطاع الانسان بها توفير البيت المريح والسرعة العجيبة والثروات الخيالية التي كانت في نظر اجدادنا حلماً من احلام الف ليلة وليلة .

اما ان يكون العلم وسيلة الى ايجاد نهضة روحية ورفـع المستوى الخلقي وتحقيق الاستقرار الاجتماعي بين مختلف الطبقات والامم وإشاعة السلام والحب بين الناس ، فهذا شيء لم أدركه حتى الآن . وظني انني اسأل العلم ما ليس من حقي ان اسـأله إياه عندما انتظر منه ان يوجد تعديلًا اساسياً في القيم الاخلاقية والروحية في حركة تصاعدية شاملة .

ولو صح رأي المؤلف لوجب ان تكون اوربا وامـــيركا اليوم بلاد الحب والسلام والامن ، ولكن الواقع يثبت خلاف ذلك . ان الاوربيين اليوم يجتازون اخطر مرحلة من مراحل حضارتهم . فهم في حالة صراع اجتماعي مخيف تنتابهم الأحقـاد وينتابهم سوء الظن والحـذر ويقض مضاجعهم تكالب عـلى الدنيا وشهوات استعمار الى جانب الخوف والقلق على مستقبلهم الغامض، هذا القلق الذي يبرز في الاستعداد الحربي وتجنيد قوى الأمم لملاقاة العدو او القضاء عليه . فأين هي آثار العلم وحسناته في رفع المستوى الروحي وتحقيق احـلام الناس وتطلعهم الى السلام والمحبة والطمأنينة ؟ وتحضرني في هذه المناسبة كلمة لأحد الفرنسيين حاول فيها تحديد قيمة ما أنجبه العقل الانساني في حقل العلم قال : « لقد استطاعت العلوم وما نتج عنها من مخترعات ، ان تجعل الانسان الهاً قبل ان توفر له عناصر الانسان » . انها كلمة اصابت المحزّ وتناولت المفصل . فالعلم يا سيدي المؤلف امكانيات مادية ضخمة ولكنها عمياء لأنها تفقـــد الحس بالقيم الاخلاقية وتقدير المثل الانسانية العليا .

اما الذي دفع حضرة المؤلف الى مثل ما اندفع اليه فهو في نظري حالة الانشداه التي اصيب بها المواطن العربي عندما قارن بين تاريخه القريب وما فيه من رجعية وضعف وفقر، وبين اوربا العملاقة بمدافعها وطياراتها ومعاملها . فظن القوة كل القوة في المعامل فقط، والضعف كل الضعف في تاريخـه فقط . ولذلك حاول ان يرمي التاريخ ويتنكر له ويترامى عـلى علم الغرب ومخترعاته معتقداً ان خلاصه هو في بناء المعامل وشحذ السلاح . ناسياً ان المقاتل لا يحتاج فقط الى السيف يحمله والقنبلة يلقيهـا ويفجرها، بل هو في حاجة اشد الى الساعد والقلب الجريء والرسالة التي يجب ان يكافح من اجلها، وهذه كلها لا يكوّنها العلم ، بل يحدثها انقلاب نفساني روحي يرتكز الى قاعدة هي ابعد مـــا تكون عما يسمى بالاسلوب العلمي . انها روح التضحية والايمان بمثل اعلى ثم روح المغامرة التي تكونها تربية موجهة وشيء آخر لا استطيع تحديد ماهيته هو عنصر المجهول ، هذا المجهول الذي بيقظته في اعماق ذواتنا يجعل من القلة كثرة ومن الضعف قوة ومن التنازع والتفسخ اتحاداً وتفاهماً . ولعل إحيـاء التاريخ ، تاريخ امتنا ، هو الوسيلة الوحيدة للايمان بانفسنا واكتشاف قدراتنا الكامنة على انتزاع حقنا في الحياة والحرية والسعادة .

هذا فيما يتعلق بماهية العلم وامكانياته في ايجاد حركة اخلاقية نفسية صاعدة .

اما التناقض الذي وقع فيه حضرة المؤلف فهو مشاهد فيما كتبه عن الانكليز والأميركان وما سجله في كلماته الاولى عن قيمة العلم وماهيته . فبينما هو في اول كتابه يمدح العلم ويرفع من شأنه إذا به في فصل (نحن والانكليز) يقرر ان النفعية هي القاعدة الاخلاقية التي تدفع البريطانيين الى حل مشكلاتهم مع الناس . وقد غرب عن باله ان النفعية اي الانتفاع غاية العلم ، فاذا حولنا ماهية العلم ، وهو ما فعله البريطانيون وما يطالبنا المؤلف به ، إلى قاعدة اخلاقية نفسية فقد شاركنا البريطانيين في

جرائمهم وأنانيتهم الطاغية. واما في فصله (اميركا في دنيا المبادىء والاخلاق) فيقع في المشكلة نفسها.

وقد كنت احب ان افصل القول في هذا الموضوع ولكن صفحات الآداب لا تتسع لمثل هـــذا التفصيل. لذلك أُلخص الموضوع فيما يلي:

ان المعضلة التي عجز المؤلف عن حلها هي معضلة الفصل بين المعرفة والأخلاق وبين القوة والواجب. فالعلم معرفة وغايته توفير اسباب القوة، اما الطمأنينة الروحية والتطلع إلى السلام والمحبة فمشكلتان اخلاقيتان نفسيتان تحتاجان الى وعي الواجب والايمان به والحفاظ عليه. والفصل بين هذين الجانبين لا يتحقق الا بالخروج من حالة الانشداه والشعور بالضعف امام الغربيين ثم بعدم التأثر بهذه العملاقية المادية الغربيـة التي تبعث الخوف والصغار وروح التبعية في نفوس العرب. وليس خيراً من خالد ابن الوليد قائداً عرف كيف يميز بين هذين الجانبين. فقد قال لأحدهم وهو يظهر خوفه من الرومانيين في معركة اليرموك: انما يكثر الجنود بالنصر ويقلون بالخذلان. قال خالد هذا بعد ان أعدّ ما استطاع من قوة ارهابا لعدو الله وعدوه. وبذلك جمع بين مطالب العلم ومقتضيات الرسالة وروح البطولة والايمان بالواجب.

ولأعد بالقارىء الى فصل «نحن والانكليز». انه فصل يشهد للمؤلف بالجرأة والايمان والذاتية المتوثبة. كما انه يصلح لأن يكون رسالة قائمة بذاتها تشيع في نفوس القراء جواً من الحماسة وتساعدهم على حل كثير من المعضلات السياسية والنفسيـة التي تعترض طريق العرب بصورة عامة والاردنيين بصورة عامة.

لقد قضى المؤلف على اسطورة الخلق البريطاني الذي كان فيما مضى مضرب الامثال، وأبرز قيمة المساعدة التي يقدمهـــا البريطانيون الى الجيش الاردني، ولم يأل جهداً في نقض المعاهدة وتسفيهها. وان انس لا انس فصوله الاخيرة التي عالج فيها قضية الكيان الاردني فكان صريحا وجريئا. ويكفيه فخراً — وهو يعيش في جو لا يحسد عليه — انه حدد المشكلة ووضعها بين ايدي الناس في خطوطها العريضة كما ذكر.

ويسرني في هذه المناسبة ان ادعو رجـــال الفكر ورواد القضية العربية ان يتشبهوا بالاستاذ طوقان في صراحتـــه التي تناول بها اخطر ناحية من نواحي حياتنا العامة، ناحية الكيانات وقيمتها وقدرتها على مقاومة الاحداث.

رمضان لاوند

المشرد

شعر للاستاذ ابي سلمى (عبد الكريم الكرمي)

مطبوعات المكتبة الكبرى للتأليف والنشر بدمشق — ١١٤ ص

ليس اسم الشاعر العربي الكبير ابي سلمى بغريب على قراء العربية، بل ليس غريباً على الاجيال العربية الصاعدة التي تقدر النضال المتصل، والتضحية المستمرة، ومكافحة الاستعمار اينما كان.. فأبو سلمى لم يقض في وطنه فلسطين ربع ما قضاه في النفي والتشريد والاضطهاد.. وكانت اشعاره انجيل المناضلين وقرآنهم.. يهزجون بها بين روابي القدس.. ويستشعرون حميّاها في ميادين الكفاح والثورة. وكان ديوانه الضخم ينتظر الطبع، يوم ان وقعت النكبة، فضاع بين ما ضاع من اعلاق النفائس التي ضاعت في وطن التراب الخضيب.

وخرج ابو سلمى من فلسطين وهو يتلفت الى الوراء... وفي عينيه دمعة الجريح، وفي قلبه ثورة المؤمن بان الشعوب ستعرف يوماً كيف تنتقم من الخونة.. الخونـة الذين ضيعوا فلسطين وكانوا أداة في يد المستعمر يديرها كيف يشاء:

من يلبّي النداء يطلب ثأراً ودماً ضائعـا وحقاً سليبا ؟
أرجال ؟ اين الرجـــولة لما زحفوا يلثمون تلك الدروبا
أيها الناسجون آلام شعب كيف تجـــلونها رداء قشيبا
قل لمن يرفعون في كلّ قطر علماً خافق الجناح عجيبـــا
عربيّ السماء يبـــدو ولكنّ وراء السماء وجها غريبا
حكموا باسمه الشعوب وسادوا فأضلّوا باسم الشعوب الشعوبا
ذهّبوا النير والقيـود وتاهوا من تراه يمحو لنا التذهيبا ؟
ودَعـوا باسمنا فكنّا الضحايا وأرونا التشريد والتعذيبـــا
دولٌ كالدمى تمثـــل دوراً رسموه لها وفصـــلًا مريبا
تتثنى على المسارح والميسمُ يشوي وجوهها والجنـوبا

وديوان المشرد الجديد هو ما أحسّه أبو سلمى بعد النكبـة الفادحة.. مجموعة شعرية فريدة.. تعبق منها رائحـــة ارض فلسطين الحبيبة.. وتتلظى من ابياتها ثورة ابنائها الميامين على الذئاب والخونة

تمر قوافـــل الأيام تروي مؤامرة الأعادي والصحاب
سعدنا في البلاد وحين سادوا غدت مرعى الثعالب والذئاب
إذا كانت قلوبهم سـواداً فهل تجديهم بيض الثياب ؟

وهل يكفيهم لهب القوافي وهل بعد الخيانة من سباب؟

ثم يلتفت الى جنته فلسطين فيتذكر فيها ملاعب صباه .. وبيته الصغير الحبيب ، والتينة الخضراء التي ترضع من ارضه في قصيدته الرائعة « اداري » :

هل تسألين النجم عن داري واين احبابي وسمّاري ؟
داري التي اغفت على ربوةٍ حالمةٍ بالمجد والغار
تفتح الزهر على خدها فعطرت ايّام آذار
الشمس لا تضحك إلا لها تهدي إليها وشي أستار
والتينة الخضراء في ظلّها تاريخ أشواقي وآثاري
ملعبنا يوم رفيف المنى وملتقى الجارة بالجار
والعين خلف الدار في المنحنى تروي حكاياتي واخباري
درب الصبايا لو تنورته مهوى صبابات واسرار
حام على انفاسهن الهوى ما بين مشوار ومشوار
الأمل الحلو على رحبه يعقد في اطراف زنار
والكرم ما أرحم افياءه احلام عشّاق واطيار
من عرق الفلاّح انداؤه أكرم من طلٍ وامطار
والبيدر السمح على صدره حبّات اكباد وابصار
اغنية الراعي وراء الربى منشورة في الافق العاري
يا عجباً للحب ! ملء الدنى يموح في انغام مزمار
داري لئن لم يبكها جاحدٌ فالعالم الحر بكى داري

ولكن أبا سلمى يؤمن بالشعب .. ويؤمن انه المحرر الاول والاخير ، وانه رغم تكالب الاستعمار والخيانة والفساد سينتفض انتفاضة الحرية ويقيم العالم الجديد المبني على العدالة والمساواة :

يا ايها الشعب المفدّى قل لي بربك كيف تهدا
يتدفق العذب الزلال فيرتوون وأنت تصدى
تكسوهم حُلل الربيع وينكرون عليك بردا
أهلاً بأحرار البلاد يحاربون من استبدّا
حُمرُ الصحائف سطروها باللظى بنداً فبندا
لم يعرفوا كيف المبادىء تشترى عدّا ونقدا
هذي السواعد والمناجل تحصد الظلام حصدا
وتحرّر الانسان حتى لا ترى في الكون عبدا

ويصرخ ابو سلمى الصرخة الأخيرة بأن الحقّ سينتصر وان يوماً قريباً سيأتي وسيعود المشرد إلى وطنه مع اعلام الحرية . فيقول في آخر قصيدة في المشرد عنوانها «سنعود» :

فلسطين الحبيبة كيف أحيا بعيداً عن سهولك والهضاب
تناديني السفوح مخضبات وفي الآفاق آثار الخضاب
تناديني الشواطىء باكيات وفي سمع الزمان صدى انتحاب
تناديني الجداول شاردات تسير غريبة دون اغتراب
تناديني مدائنك اليتامى تناديني قراكِ مع القباب
ويسألني الرفاق ألا لقاء وهل من عودة بعد الغياب
أجل سنقبل الترب المندى وفوق شفاهنا حمر الرغاب
غداً سنعود والاجيال تصغي إلى وقع الخطى عند الاياب
مع الرايات دامية الحواشي على وهج الاسنة والحراب
ونحن الثائرين بكل أرض سنصهر باللظى نيرَ الرقاب
تذيب القلب رنة كل قيد ويجرح في الجوانح كل ناب
أجل ستعود آلاف الضحايا ضحايا الظلم تفتح كل باب

وبعد ... فلن استطيع ان أقدم لك الديوان إلا إذا نقلته كله .. فكله لهب ونار ، وما أحرى الشباب العربي بأن يقرأ مثل هذا الديوان في هذه الفترة من تاريخه ، وما أحرى هذا الديوان ان يدخل كل بيت عربي .

سعيد حورانية

(من رابطة الكتاب السوريين)

كفر

مجموعة قصصية لنبيل شحاده خوري

١٤٤ صفحة من القطع الصغير ، مطبعة عزالدين ، بيروت

« هو ذا اديب قصصي » ايضاً ؛ اديب فلسطيني ناشيء يظهر فجأة على المسرح ليقذف من قلمه عصارة آلام الشعب ، وليستمد من مأساة وطنه أروع ما يمكن ان يتمخض عنه خيال قصصي .

لست اعرف نبيل خوري – كما انني لا اعرف سليمان العيسى ايضاً – ولكنني اعلم انه شاب لم يمض على إنهائه الدراسة الثانوية سوى عامين . ولكنه في مجموعته القصصية الصغيرة اديب مكتمل النضج القصصي ، مكتمل الوعي الشعبي ، يعرف ان الادب ابن الحياة ، وابن المجتمع ؛ ولذلك يكتب بروح الشعب وبروح المجتمع ، وقد روّى قلمه من النقمة على المجرمين والخونة من ابناء امته ، او من سادتهم الساخرين من مصائبهم ؛ لقد

ووّى قلمه من « الكفر » بهؤلاء الخونة المجرمين أصحاب مأساة وطنه فلسطين .

في هذه المجموعة الصغيرة سبع أقاصيص ، كلها من صميم الواقع ، ومن صميم المأساة ، وهي : (لحن لم يتم – مجتمع – رسالة مجنون – هذا الشعب – نساء في حياته – ارامكو – شبح الماضي) . ويكفي ان تقرأ هذه العناوين لتعرف ايّ نوع من الأدب وراء كل عنوان ، ولتعلم انك ستسير مع المؤلف الشاب في مآسٍ وفواجع من صميم نكبة الأمة العربية وانك ستشعر بان هذا الادب هو « من الشعب ، وللشعب » .

ولست اريد ان افاضل بين هذه الاقاصيص ، فكلها قوية ، وكلها رائعة . ولكنني اقف اولاً عند « هذا الشعب » . انها قصة الزعامة العربية : الزعامة التي تبدأ مخلصة مؤمنة ، حتى إذا وصل صاحبها الى الكرسي على اكتاف الشعب كفر بإيمانه القومي ، ومبادئه الوطنية ، وكفر بالشعب الذي رفعه ، ولم يعد يهمّه سوى الكرسي .. سوى المنصب والجاه ، وهتافات الجماهير ورعونات الصحف !

ما اصدقها صورة نرى فيها وجوه زعماء الأمة العربية التقليديين .. انها صورة الرجال الثرثارين الذين اعتادوا ان يتاجروا بالمبادىء على حساب غفلة الشعب المسكين الذي يلقي اليهم زمامه مخلصاً ، فلا يكافئونه بغير العقوق والاحتقار ، أو « بالخيانة » .. كما وقع في مأساة فلسطين .

وما اجدرنا بان نقول لهؤلاء جميعهم ما قالته زوجة الزعيم في قصة « هذا الشعب » لزوجها : « انك دُستَ على مبادئك ، واصبحت لا تفكر الا بالاسم العريض والممتاز ... كفرت بالشعب الذي كنت تؤمن به ، واصبحت لا ترقص الا على اشلائه وهو يئنّ ويتوجع .. رفعك من الحضيض ، فأنزلته الى الحضيض » .

وما اكثر عندنا .. هؤلاء الذين يبدأون بتاريخ حافل بالمفاخر .. يجاهدون ويسجنون ، ويعيشون في المنافي والمعتقلات في سبيل الشعب .. ثم ينتهون وقد ملأوا تاريخهم بالجبن والنذالة ، ولوثوا بجبينهم ونذالتهم تاريخ هذه الامة .. واذا كانت لعنة الشعب قد دحرجت بعضهم عن عروشهم وعصفت بسلطانهم ، فما زال البعض الآخر ينتظر دوره من هذه اللعنة التي لا تخيب .

اما قصة «شبح الماضي» فهي قصة الفلاح المؤمن بحقه وبارضه وبوطنه . قصة الحياة التعاونية الاشتراكية الجميلة في القرية . قصة القروي الذي لا تلبث المدينة ان تذهب بصفاء نفسه – الى حين – ثم اذا به يعود ليكفّر عن آثامه بدمه في ساحة الجهاد . هي قصة كل قرية فلسطينية اشتركت في الجهاد ، فكانت شريفة مخلصة نبيلة في كفاحها وفي سقوطها .

ولا يتسع المجال لأتحدث عن (أرامكو – ولحن لم يتم – ورسالة مجنون) ولكنني وانا لا املك نفسي من الاعجاب بهذه المجموعة الصغيرة في حجمها ، الكبيرة بقيمتها ، أود ان اقولها كلمة صادقة مخلصة لصاحب المجموعة :

يا أخي نبيل ،

دعني أصافحك بحرارة ، فانك – وأنت الناشيء الذي يضع قدمه لأول مرة على عتبة الحياة الادبية – لأعظم في نفسي من الكثيرين من اكبر كتاب القصة العربية . انك من هذا الشعب وانك تكتب لهذا الشعب ، وانك لتصور واقع هذا الشعب ، وروح هذا الشعب ، وانك اذن تكتب ادب الشعب ، الادب الذي له الخلود . اما اولئك الذين خلع عليهم بعض الناس القاب (امراء القصة – وامراء النثر – وامراء الشعر – وامراء البيان) فقد كفرتُ بهم فوق كفرك بصدق الزعامات العربية واخلاصها . انهم لم ينالوا هذه الالقاب الفخمة – القاب الامارة الفارغة – الاّ لأن بعض المداجين والمنافقين قد نظروا اليهم من خلال المنصب والمادة ، متذرعين بما يطيب لهم تسميته « بالفن » ، ولم ينظروا الى انتاجهم بروح الشعب . وشتان ما بين « زيف المنصب » او « بهرج الفن » ، و « واقع الشعب وأصالة ادبه » .

عمان – الاردن **عيسى الناعوري**

صاحب مجلة « القلم الجديد »

الحركات في لبنان

إلى عهد المتصرفية

المكتبة الاهلية ، بيروت – ٢٥٦ ص

في تاريخ كل أمة حلقات مفقودة ، وأساطير مكذوبة ، لا يسع طالب الحقيقة إلا ان يقف امام الاولى باحثاً مفكراً يفرض ويستنبط وقد يصيب وقد يخطىء ، ولكنه على كل حال يرى نفسه مضطراً الى ان يسلك طريق الفرض والاحتمال ارضاء للبحث العلمي ، ورغبة في الوصول الى الحقيقة التي

ينشدها . وقد يمر بالثانية مشفقاً او ساخراً او محاولاً نقدها بما يصل اليه مجهوده من دراسات وابحاث .

وللمؤرخ عذره في ان يقف من هذه وتلك مواقف قد تثير الاشفاق او القلق . على انه ثمة ناحية اهم من هذه وتلك يقف امامها موقف الدهشة والريبة . تلك هي الحقيقة التي يعرفها الكثيرون ولا يجرؤ على التصريح بها احد . وما اكثر ما طمس من معالم التاريخ ، وضاع من حقائقه امام نزوات الهوى وشهوات الغرض .

تلك مقدمة صريحة أملتها عليّ نظرتي في كتاب (الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية) . وهو كتاب نشره الاستاذ عارف ابو شقرا احد اساتذة اللغة العربية والادب في كلية المقاصد ببيروت . وألفه والده المرحوم يوسف خطار ابو شقرا مستمداً روايته من نسيبه المرحوم حسين غضبان ابو شقرا .

والكتاب يؤرخ لفترة من الفترات المهمة في تاريخ لبنان كثرت فيها الفتن وطوحت فيها الحركات الداخلية برؤوس وأظهرت على مسرح تاريخه شخصيات كانت لها آثارها في توجيه سياسته ، وقيادة دفة الحكم فيه وتعرض فيها لهزات عواصف ثلاث كان لأحداثها أثر بارز في تاريخه . تلك هي الحقبة التي تبدأ بولاية الامير بشير الشهابي ، وتنتهي بعهد المتصرفية ومتصرفها الاول داود باشا [١٧٨٧ – ١٨٦٨ م] وهو يكاد يحصر اهتمامه في تصوير حوادث الفوضى بين الاسر الاقطاعية في اقليم الشوف ، واسباب تلك الفوضى ونتائجها وتبعاتها والشخصيات التي لعبت ادوارها في حقبة تبلغ ثمانين عاماً من عمر لبنان كان فيها مسرحاً لقلاقل وفتن ذات بال .

ولقد تهيأت لراويه فرصة الوصول إلى تلك المعلومات من مصادرها الاولى ، حين عمل في قصور ثلاثة من ابطال تلك الحركات نصف قرن من الزمن ، كان فيها مقربا الى النفوس محبباً الى القلوب لما فطر عليه من كياسة ولباقة وحسن تصرف . وساعده ذلك على ان يسمع ما لم تسمعه آذان الناس ويرى ما لم تره عيونهم فكان شاهد عيان لمعظم ما روى ولا ينبئك مثل خبير .

على ان مما يسترعي النظر ان المثلث الذي دفع بهذا الكتاب الى زاوية التاريخ في المكتبة العربية (اعني : الراوي والمؤلف والناشر) مثلث درزي يجعل لهذا الكتاب قيمة خاصة في نظر التاريخ لأنه كما جاء في صدر الكتاب : « شهادة درزية صريحة تلم بحوادث لبنان واحواله ، يدلي بها من رواة الدروز شاهد عيان ، ويساهم بها واحد منهم لأول مرة في تاريخ لبنان . »

فهو إذاً – كما جاء في تقديم الكتاب – « يحفظ لنا وجهة نظر معينة قلما نجدها في غيره من التواريخ ؛ هي وجهة نظر رجل لبناني درزي من وجوه عماطور في الحركات الثلاث الكبرى التي هزت لبنان من اقصاه الى اقصاه في منتصف القرن الماضي » . وميزة الكتاب فوق كل ذلك انه يصور الحوادث تصويراً شعبياً صريحاً جريئاً ، لا أثر فيه لزخرف الباطل او سوء النية ويخص الاسر الدرزية بالجانب الاكبر من اهتمامه حتى ليكاد يكون سجلًا لشخصياتها وقاموساً لرجالها . بل انه ليكاد يكون تاريخاً لما اغفله التاريخ من أمر هذه الطائفة .

اما جرأته وصراحته فلا أدل عليهما من مهاجمته لسياسة الامير بشير الذي يرى انها جرّت على لبنان كثيراً من المصائب بل جرت عليه هو نفسه الويلات والكوارث . واسلمته آخر الأمر اسيراً ليد اعدائه لأنه كان كما يصفه : « فيه ما فيه من ضعف الرأي [وركاكة] الحزم » . ويصف ما جبل عليه من اضطراب الطبع وخداع الغدر ، ويروي له حوادث لطخ بها الامير صفحة تاريخه ، ويميط اللثام عن مؤامراته ودسائسه فيجرده من ثوب ريائه الذي تقنع به ردحاً من الدهر فيظهره على حقيقته امام عين التاريخ .

والكتاب يشيد ببطولة الدروز الحربية ويمجد فيهم الشجاعة والجرأة والتفاني في سبيل العزة والاباء ، والثأر للكرامة ، وحسبه ان يؤيد ذلك بشهادة منازليهم .

عبد المجيد الدسوقي

خطرات

للدكتور محمد مهدي البصير

الدكتور محمد مهدي البصير في طليعة ادبائنا الكبار ، وقد دأب منذ عودته من اوربا على إتحاف المكتبة العربية بدراسات قيّمة في الادب العربي تكشف عن دقة في البحث وعمق في التفكير وسعة في الاطلاع . ومن المؤسف ان يبلغ الركود بالحركة الأدبية في العراق حداً يجعل امثال كتب الدكتور البصير تظهر الى الوجود من دون ان يكلف الباحثون

والنقـــاد انفسهم عناء دراستها وبحثها ومناقشة آرائهـــا الجديدة . ولكن هذا هو حال الادب في العراق خاصة ، وفي البلاد العربية عامة، فمن المستبعد ان يثير همم النقّاد والكتّاب كتاب جيّد فيتصدوا للكتابة عنه في الصحف والمجلات كأن في هذا العمل إضاعة لوقتهم . وهكذا يجد الكاتب نفسه مفلساً من الربح المادي والمعنوي ، وليس له من عزاء سوى حبـــه الذاتي للأدب وارتياحه في خدمته والاخلاص له.

ومن الامثلة الواضحة على هذه الحالة السيئـــة كتاب « خطرات » ، فمع ان شخصية مؤلفة تستحـق تتبع آثارها ، ومع ان الكتاب نفسه يضمّ الكثـــير من الآراء التي تتطلب العرض والنقاش ، ومع ان اسلوبه يعتـبر جديداً على الأدب العربي ، الا ان النقاد لم يستقبلوه بالحماســـة التي يستأهلها ، ولم تظهر عنه الا مقالات قصيرة لا تكاد تعرّفه الى القراء تعريفـاً صحيحاً . والحق ان هذا الكتاب يستحق دراســـة طويلة لما تفيض به صحائفه من آراء قيّمة في شتى شئون الحياة . فقـــد قسّمه المؤلف الى ابواب عدة احدها « السياسيات » والآخر « الاجتماعيات » والثالث « الادبيات » وقد ضم كل منهـــا عبارات موجزة تعبّر كل واحدة منها عن رأيه في ناحيـة من تلك النواحي ، وتعوّض كل عبارة عن مقال كامل . ولا يتسع لي المجـــال الآن لاستعراض آراء الابواب جميعها فان ذلك يقتضيني حديثاً طويلاً يضيق به المقام ، لذلك سأقصر حديثي على باب « السياسيات » .

ولا إخال احداً من القراء يستغرب إقدام الدكتور البصير استاذ الادب في دار المعلمين العالية على تسجيل آرائه في الحياة السياسية ، فكل متتبع لتاريخ العراق الحديث يعلم حق العلم انه كان في صدر شبابه من رجال السياسة البارزين قبل ان يكون من فرسان الادب المبرّزين، ويقدّر تمام التقدير مساهمته الفعّالة في الثورة العراقية وإخلاصه لها وتفانيه فيها . فقد حكم عليه بالاعدام ، ثم استبدل الحكم بالنفي والسجن . وعندما بدأ الحكم الوطني خاض الحياة السياسية باخلاص ونشاط ، فاشترك في تأليف الحزب الوطني مع المرحوم جعفر ابي التمّن وبعض الوطنيين الآخرين ، وظل يجاهد لخدمـة الوطن والشعب حتى اعتزل الحياة السياسية وهو نظيف اليد رافع الرأس ليس لاحد عليه مطعن، بينما انساق الكثير من زملائه فيما بعد وراء مصالحهم الشخصية وجرّهم ذلك الى السير في ركاب المستعمر .

ويعود البصير في هذا الكتاب الى إعلان آرائه السياسيـة التي تدعو الى التشبث بالعدل والنزاهة والوطنية ، والى محاربة الاستعمار . فهو يقول مثلاً : « لا يتوطد السلام والاستعبـاد بعض دعائه » . ويقول في مكان آخر : « من حسن حظ البلاد المفتوحة سوء ظنها بالفاتح وإن عدل ، لان هذا إذا عدل ففي ما لا يناقض مصلحته الاستعمارية التي هي في حد ذاتهـــا ظلم فاحش » . ويهزأ الدكتور البصير من الاستعمار بهذه العبـارة الساخرة : « احسن ما في الاستعمار دفعه البلدان المستعمرة الى مقاومته » كما لا يفوته ان يخص اذناب الاستعمار باحدى عباراته، فيقول : « في ثقة المستعمرين باحد ابناء المستعمرة مـــا يجوّز الشك بل يستوجبه في وطنيته وكفايته على السواء » .

وللاسف ان المجال لا يتسع في هذه العجالة لايراد العبارات القوية النفاذة الاخرى التي تضمنها باب « السياسات » إذ يحتوي على مائتين وخمس وخمسين عبارة ، كل منها تناقش بايجاز رأياً من الآراء أو تقرر حالة من الحالات او توضح حقيقة من الحقائق. والواقع انني لم اختر منها سوى القليـــل الذي يصور بعض الجوانب من وضعنا السياسي تصويراً صادقاً جريئاً . ولكنني لن اختم كلمتي عن كتاب «خطرات» قبل ان اقتطف من الباب المذكور بعض العبارات الرائعة. ومنها : « لا تتمتع الحكومة بعطف الشعب إلا إذا كانت منه وله » . و « لا ادري كيف يدبّر امور الناس قوم عجزوا عن تدبير امورهم » . و « يحب المرء وطنه ما يسر له ثلاثة: الرزق والعدالة والجمال » . و « من لم يؤد واجبه نحو وطنه كان عوناً لأعدائه عليه » . و « بئست الوطنية تلك التي تبدأ حماسة ملتهبة وتنتهي انانية جامحة مرائية ». و « من الصعب جداً ان يفلح شعب لا يعمل افراده لمصلحتـه الا بقدر ما تقتضي دعايتهم لأنفسهم» . و « ليس هناك على وجه الارض شعب أجدر بالحياة من ذلك الذي يدرك منفعتـــه وينتخب حكامه انتخاباً تتجلى فيه يقظته وهيمنته الـكاملة على شؤونه ومصالحه » . و « لا قيمة لمعارضة لا يؤيدها الشعب » . و « اذا فشلت المعارضة المخلصة في الاستيلاء على الحكم عن طريق الكثرة البرلمانية لم تفشل في الاستيلاء على ثقة الجمهور الذي لا يبعد ان يقودها الى دست الحكم » .

هذه بعض العبارات الجريئة الصادقة التي لم استطع ان اتغاضى عن ايرادها ، وهي ليست بافضل ما احتواه الكتاب . والحق ان الدكتور البصير اضاف بكتابه هذا ثروة وافرة اخرى الى ثرواته السابقة .

بغداد **شاكر خصباك**